الرد

على الكتاب الأسود

بقلم السيدة نبوية موسى

الـــرد

على الكتاب الاســـــــود

بقـلم السيدة نبوية موسى

تمهيد

إن كل ماانهم به مكرم باشا عبيد صديقه القديم رفعة مصطفى النحاس باشا حقائق دامغة لا شك فيها ولا غرابة . فقد صادقه منذ سنة ١٩١٨ الى الآن أي منذ ٢٥ عاما ، فهو أعلم الناس بأخلاقه ومطامعه .وقد أخرج النحاس باشا كل رجال الوفد الاصليين ومن بينهم وكيل الوفد المغفور له حمد باشا الباسل وغيره من اساطين الوفد وزعمائه الشرفاء من أجل مكرم باشا عبيد فالاثنان تجمعها رابطة واحدة هي تقارب الميول والاخلاق والا لما استطاع أن يتصادقا كل تلك المدة الطويلة . !

على أن أقل ماينسب الى النحاس باشا هو اما أنه كان متفقا معه لاتفاق اخلاقهما واتحادهما في تلك المخازى ، أو أنه كان جاهلا بأخلاق مكرم باشا الذي كان يتغنى كل تلك المدة بنزاهته ويخرج رجال الوفد من أجله وعلى ذلك فلا يصلح النحاس باشا لرئاسة الامة سواء في ذلك أكان مرتكبا مع صديقه أم كان جاهلا بخلاله فأن الرئيس الجاهل أشد خطرا على الامة من المرتكب نفسه !

واني في هذا الرد ألخص التهم والفضائح التي وجهها مكرم باشا لرفعة النحاس باشا على أنها حقائق لامراء فيها . ثم اثبت على مكرم باشا أنه شريك له في كل ماذكر أو هو الفاعل الاصلي لكل تلك المخازي لأنه كان اليد العاملة والرأس المفكرة لكل مايقوم به النحاس باشا من الأعمال وسأثبت ذلك باقوال مكرم باشا نفسه وبالتواريخ

اما ماانهم به مكرم باشا زملاءه الوزراء فلا قيمة له فى نظرى ولم يدفعه اليه الا الحقد والحسد

واني قبل أن ألخص التهم اتكلم عن سبب خروج مكرم باشا من الوزارة .

سبب خروج مكرم باشا من الوزارة

يدعي مكرم باشا أنه خرج من الوزارة لمسائل التموين وغيرها من المسائل الخربة التي كانت تعمل أو وزارة بإرادته هو قبل كل شيء والواقع أنه يدبر الحقيقة كل التغيير في هذا ولو كان مكرم باشا تستهزه مخازي الوزارة وفضائحها لاستهزه القبض على حضرة صاحب المقام الرفيع علي باشا ماهر وغيره من عظماء الامة واستنكار ذلك ولكن مكرم باشا لا يبالي بالشرف والوطنية ولا يعبأ بالقانون ولا يرجع سبب خروجه الا الي اسباب سياسية هامة فقد كان مكرم باشا مع وجوده في الوفد يتقرب الي الانجليز سراً ويبكي ويستبكيهم رحمة بالاغلبية ولما كان الانجليز قوما شرفاء ديموقراطيين لا يحبون الظلم فقد كانوا يعطفون عليه ويناصرونه ظنا منهم انهم ينصرون الحق والعدل وكان رفعة النحاس باشا نفسه يعلم تقرب مكرم باشا من الانجليز وكان يعتمد عليه في الاتصال بهم ولهذا ظل مكرم باشا عبيد متمتعا بالسلطة التي لا حد لها في ادارة شؤون الوفد طالما كان متمتعا برضاء الانجليز عنه حتى ان وزارة الوفد عندما ذهبت الي انجلترا لعقد المعاهدة سنة ١٩٣١ وكان يتم الاتفاق وكتبت النصوص فوجيء رفعة النحاس باشا برفض الانجليز من غير ما سبب . وكان السبب الحقيقي في هذا الرفض أن مكرم باشا في تلك الليلة بكى واستبكى الانجليز لحالة الاقلية وقضت ديموقراطية الانجليز ان لا يقبلوا اتفاقا تهان من أجله الاقلية وهم المعروفون بالعدل اينما حلوا . وهكذا عاد رفعة النحاس باشا الساذج يقول (خسرنا المعاهدة ولكنا كسبنا صداقة الانجليز) وما كسب صداقة الانجليز

اذ ذلك الا مكرم باشا فقط . وما كان النحاس باشا يتكلم الا بلسانه وهكذا ظل مكرم باشا يتمتع بعطف الانجليز الى أن تولى الحكم هذه المرة . ولكن مكرم باشا لا يذكر يدا أسديت اليه ، بل جبل على مقابلة الاحسان بالاساءة ولهذا نسى عطف الانجليز ونعمهم عليه عندما رأى أن الالمان قد دخلوا العلمين وظن لقصر نظره انهم هم الفائزون فقلب للانجليز ظهر المجن ولجأ الى السراى ليدس لهم عندها كما كان يدس للسراى عند الانجليز والالتجاء الى السراى شرف يجب أن يتمتع به كل مصرى صميم فلا عيب فيه ولكن العيب كل العيب أن يدس لها زمنا طويلا ثم يذهب ليدس لغيرها بعد ذلك . والسراى أجل وأرقى من أن تستمع كلمة من كلماته .

وهنا فقط عرف الانجليز اخلاق مكرم باشا الحقيقية فتخلوا عنه وعلم بذلك رفعة النحاس باشا بالطبع فأراد أن ينتقم لنفسه ولسلطته المسلوبة كل ذلك الزمن الطويل فلم يقبل أن يتمتع مكرم باشا بأهم وزارتين هما المالية والتموين فأراد أن يسلخ منه التموين بل ضن عليه أيضا بالسلطة المطلقة في المالية واراد أن ينشىء ديوان المحاسبة ليعطيه كثيرا من اختصاصات المالية ومن هنا نشأ الخلاف ويعترف مكرم باشا نفسه في كتابه الاسود بهذه الحقيقة فيقول ما نصه (علام وعلى من اعتمد لاتخاذ هذه الخطوة الجريئة ؟ وأى وحى استوحى وأوحى ؟ لعل فى الأمر سرا . أو فى السر أمراً ستكشف الأيام عن خبيئته) فمكرم باشا يتساءل على من اذن اعتمد النحاس باشا فى اخراجه من الوزارة أليس كلام مكرم باشا صريحا فى انه اعتمد على قوة ؟ وهي ولا شك قوة انجلترا ثم يعود فيقول (ولئن كان الواجب المقدس يقضى بامولاى من الآن فصاعدا حول المسعى لاقالة هذه الحكومة

من حيث انا في مقابلات ومجالس تسود لها وجوه وتبيض وجوه .
فما من شيء يمنعني بل كل شيء يدفعني الى ان ادعو الله وهو خير حافظا أن يحفظكم لمصر مدافعا عن حوطه الشرف ويخدمه الشرفاء ومصريا هو للوطن صخرة النجاة وقبلة الرجاء) . فهل هناك شك بعد هذا الكلام في أنه يريد ان يقول بعبارة صريحة أن الانجليز هم الذين اخرجوه ؟ والواقع أنه مخطيء فيما يدعي فالانجليز لم يخرجوه ولكنهم تخلوا عن نصرته لما عرفوا دسه واخلاقه ، ولو أن مكرم باشا زال من ميدان السياسة نهائيا هو ودسائسه التى يدسها للشعب المصرى ومليكه المحبوب لتم الاتفاق بيننا وبين الخليفة لا على الورق بل في صميم القلوب من الشعب الوادع الامين الى مليكه النبيل العظيم فما منا من يأبي الاتفاق مع الخليفة الشريفة .

ملخص الفضائح والتهم

اولا — ان رفعة النحاس باشا لم يكن نزيها بدليل ما اشتراه لحضرة صاحبة العصمة حرمه من الأملاك في مدة حكمه وهي كما يأتي :

١ — شراء حوالي ٨٠ فدانا باسم السيدة حرمه من معالي فؤاد سراج الدين باشا بعقد موقع عليه أمام كاتب العقود بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٤٢ ومسجل بتاريخ ٢٣ يونيه سنة ١٩٤٢ بمبلغ ٤٢٨٣ جنيها

٢ — شراء مايقرب من ٧٥ فدانا باسم السيده حرمه من الخواجه نجيل نسيم عدس بعقد وقع عليه أمام كاتب العقود بتاريخ ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٢ وسجل في ٢٤ منه بمبلغ ٨٩٧٤ جنيها

٣ — شراء سيارة ثمنها الاصلي ٣٠٠٠ جنيه وبيعت لرفعته

بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه من المسيو كوتسيكا

٤ — شراء فراء أبيض بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه فيكون مجموع الثمن الذى دفعه رفعة النحاس باشا لمشترياته هذه هو مبلغ ١٨٧٥٧ جنيها وهو مبلغ ضخم لا يستطيع رفعة النحاس أن يقول إنه كسبه من وجوه كسب مشروعة خصوصا اذا علمنا أن حضرة صاحبة العصمة حرمه لم تكن تملك شيئا اطلاقا بدليل أن حضرة النائب المحترم عبد الحميد بك الوكيل شقيقها قدم خطابا الى البنك العقارى الزراعي بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٩٤٢ بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن باقى الورثة يقول فيه إن المرحوم والده كان مدينا للبنك العقاري الزراعي المصرى بمبلغ ٨٨٦٨ جنيها ثم مبلغ ٣٥٩٢ جنيها اى مبلغ ١٢٤٦٠ جنيها وان القسط السنوى المطلوب دفعه لهذا الدين يبلغ مجموعه ٨٨٠ جنيها سنويا تقريبا وأنه هو وباقى الورثة عاجزون عن دفع مثل هذا القسط حتى اصبح مجموع المتأخر عليهم لغاية سنة ١٩٤١ هو ١٨٠٦ جنيهات خلاف الفوائد وانهم لذلك يطلبون ضم هذا المبلغ المستحق عليهم الى رأس المال وتخفيض الفوائد الى ١ ٪ ليستطيعوا القيام بسدادها ابتداء من سنة ١٩٤٤ وفى هذا دليل ساطع على ان ورثة المرحوم عبد الواحد باشا الوكيل لا يملكون شيئا وان هذه الحكومة قد خفضت لهم الفوائد الى ١ ٪ كما طلبوا ونحن هنا نقول لحضرة صاحب المعالي مكرم باشا عبيد صاحب الكتاب الاسود أنه في سنة ١٩٣٧ عمل المغفور له عبد الواحد باشا الوكيل تسوية يعجز عن تخيلها العقل ولولا تلك التسوية التي قام بها هو كوزير للمالية ما كان لعبد الواحد باشا الوكيل قيراط واحد من الارض الي الآن وهذا

اذن يثبت أنه شريك في المحاباة وانه يحابي رفعة النحاس باشا نظير محاباة النحاس باشا له أيضا .

ثانيا — استغلال النحاس باشا سلطته الحكومية فى الاستيلاء على الاوقاف فقد قال مكرم باشا فى كتابه ان رفعته لم يتنظر على الاوقاف الثلاثة التي هو ناظر عليها الآن الا فى ابان توليه الحكم فهو اذن يستعمل نفوذه الحكومي فى الاستيلاء على أموال اوقاف المسلمين وقد كان في سنة ١٩٣٧ ناظرا على وقف المرحوم محمد عبد العال فنزع ملكية منزل الوقف للمنافع العامة بقرار من المحكمة فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٧ نظير مبلغ ٥٣٢٥ جنيها مع أن المنزل لم تنزع ملكية ارضه كلها بل بقي منه جزء فهل من المعقول أن منزلا قديما فى سمنود تنزع ملكية نصفه بمبلغ ٥٣٢٥ جنيها ؟ اذا لم يكن ناظر الوقف هو رفعة رئيس الوزراء وقد استلم بيده ذلك المبلغ من خزينة الدولة بأمر صاحب الكتاب الاسود وقد كان اذ ذاك وزيراً المالية ؟ ثم بنى منزله من ذلك المبلغ وترك منزل الوقف . . أفلم يكن مكرم باشا بعد هذا شريكا له فى جرائمه ؟ وشاء طمع الحكومة أن تخرج زوجة الواقف من منزل الوقف الذى قرر معالى وزير المالية مكرم باشا عبيد نفسه نزع ملكيته لا لشيء سوى تحسين موقع منزل صاحب الرفعة رئيسه وزعيمه المقدس وكان الواقف قد اشترط أن تعطي زوجته مائة جنيه شهريا طالما كانت تقيم في منزل الوقف وتؤدى اشتراطاته من قراءة القرآن واطعام المساكين وغير ذلك فلما اخرجت المسكينة من منزلها ظلما وعدوانا منع عنها ذلك المبلغ ثم قيل لها فى سنة ١٩٤٠ إن في الامكان عودتها الى ما كانت عليه اذا اشترى الوقف منزل رفعة النحاس باشا بعشرة آلاف جنيه لتمكن

هي فيه وتقوم بشروط الواقف ولهذا اضطرت السكينة أن تقدم طلبا بهذا الشراء الى المحكمة الشرعية وتظاهر رفعة النحاس باشا انه عطفا على حالتها ورحمة بها وبالمساكين يقبل مرغما أن يبيع منزله في سمنود بعشرة آلاف جنيه على أن يبيعه الوقف قطعة الارض الباقية من منزل الوقف القديم وأنقاض المنزل . فاشترى الوقف منه ارضه بسعر المتر ٢٥٠ قرشا غير المباني واشترى هو قطعة الارض المقابلة لمنزله والتي هي على نفس الشارع بخمسين قرشا المتر وكانت الرأس المدبرة لكل هذا في سنة ١٩٤٠ هي ولا شك رأس المجاهد الكبير سكرتير الوفد أي صاحب الكتاب الاسود . وظلت هذه المسألة معلقة الى أن تولي رفعة النحاس باشا الوزارة في عام ١٩٤٢ فتمت الصفقة بالبيع والشراء ثم تنظر رفعة النحاس باشا على وقف البدراوى فى أول توليه الوزارة هذه المرة بعد أن كان لوزارة الاوقاف حق النظر عليه فأخذ من يد وزارة الاوقاف الى رفعة الرئيس في ١٦ مارس سنة ١٩٤٢ وبعلم مكرم باشا وبمشورته تم ذلك لأنه لم يكن قد اختلف بعد مع زعيمه المقدس فكرم باشا هو الذى حابى زعيمه في تلك الصفقة فسلمه مبلغ ٥٣٢٥ جنيها تعويض نزع ملكية منزل الوقف لا ليبنى بها منزل الوقف بل ليبني بها منزله ثم يبيعه للوقف بمبلغ عشرة آلاف جنيه

ثالثا — استأجر رفعة النحاس باشا منزلا بالرمل قبل أن يدخل الوزارة هذه المرة بمبلغ ٢٠٠ جنيه سنويا واراد ان يستغل هذا الايجار فأجر من باطنه ذلك المنزل لسيدة اجنبية لتفتتحه كسينو نا للترفيه واعطي لها رخصة خمر في نظير ايجار سنوي تدفعه له مقداره ١٠٠٠ الف جنيه فكأن صاحب المقام الرفيع الحاكم العسكرى

اهالي . خصوصاً ومنزل سري رشوة قدرها ٨٠٠ جنيه سنوياً ، شكل المجلس ... مركزه الحكومي لما استطاع أن يؤجر المنزل الذي لا يسمح عقده بأن يؤجره لغيره . ولولا مركزه الحكومي أيضاً لما استطاع اهالي ... خصوصاً الحمام . وهكذا شاء نكد العيش ان يرضى من يدعي الدفاع عن زعامة الامة بأن يجعل منزله الخاص بسكنه والمستأجر باسمه منزلاً سرياً ومخابرة .. وهو ذلك الرجل الذي يدعى الدين ويصلي كل اسبوع في مسجد وينادي بالغاء البغاء وما كان لنا نحن ابناء الشعب المساكين ان نعرف تلك الفضائح لولا اختلاف ما بين الصديقين اللذين كان يؤيد كلاهما الآخر كل التأييد على مايعلمه من رذائله أو فضائحه

ومن المدهش أن رفعة النحاس باشا لم ينقل تليفونه بل تركه بالتليفون باسمه هو فتبحث في دفتر تليفونات الاسكندرية عن اسم النحاس باشا (فتجد مصطفى النحاس باشا منزل رقم ٢١٤٦ برمل الاسكندرية) واذا طلبت هذا الرقم رد عليك بنسيون المزايا بيت للترفيه

رابعاً — استغل حضرة صاحب المقام الرفيع سلطته الحكومية في الاستيلاء على المنزل الذي كان يسكنه معهد التدبير المنزلي في جاردن سيتي ولم يكن رفعة النحاس باشا في حاجة الى السكنى فقد كان منزله في مصر الجديدة من افضل منازل الوزراء فخامة وأبهة ثم اصلحه عندما دخل الوزارة هذه المرة بآلاف الجنيهات ثم دفعه بعد ذلك حب الترف والتمتع الى اخراج المعهد من مسكنه والاستيلاء على المنزل لسكنى رفعته الخاصة وبذلك خسرت وزارة المعارف حوالي ٤٠٠٠ جنيه منها المبالغ التي كانت قد اعدت بها ذلك المنزل فجهزته بالافران واحواض الغسيل وغيرها من الكماليات التي

لاتوجد فى منزل آخر وبعد أن سكن فيه رفعة النحاس باشا اضطر هو وزارة المعارف أن تنفق على المنزل من جديد حوالي ٢٠٠٠ جنيه أخرى لتعده لسكنى رفعته وأراد بذلك الاعداد ان يفوق هذا القصر فى زخرفه قصر عابدين العامر وذلك على نفقة الدولة المسكينة فخسرت وزارة المعارف في تلك الصفقة نحو الى ٤٠٠٠ جنيه ثم استولى رفعة النحاس باشا على كثير من اثاث المعهد كالثريات النادرة الوجود والأبسطة وغيرها من ادوات التدبير المنزلى التى استحضرت لهذا المعهد من الخارج ولا وجود لها في مصر. هذا فضلا عن أن نقل المعهد من مسكنه الى مبنى مدرسة الاميرة فوزيه ونقل مدرسة الاميرة فوزية الثانوية الى مبنى مدرسة عباس الابتدائية كل ذلك كان من شأنه اضطراب التعليم فى المعهد الذي نقل الى مكان ليس فيه معدات التدبير المنزلى واضطراب التعليم في مدرسة الاميرة فوزية التى نقلت من مكانها الي مكان مدرسة عباس الابتدائيه وليس فى المكان الجديد معامل أما مدرسة عباس الابتدائية للبنات فقد أغلقت لالشيء سوى ارادة رفعة رئيس الوزراء فى أن يكون له من فخفخة السكن ماللملوك .

أما قول الوفد بأن الفنيين في وزارة المعارف هم الذين أرادوا جمع المعاهد في بناء واحد فان رجال المعارف لاينقلون المدارس فى ١٩ اكتوبر كما تزعم الصحف الوفدية أى بعد ابتداء الدراسه وفي ذلك تعطيل لعمل المعاهد لايقل مداه عن أربعة شهور بل رجال المعارف اذا أرادوا نقل المدارس نقلوها بعد انتهاء الدراسة مباشرة أي فى آخر مايو أو اول يونيه ليتسنى لهم مايريدون من الترتيبات والاصلاحات

خامسا — تستر حضرة صاحب المقام الرفيع على انسبائه احمد بك الوكيل وصبحي بك الشوربجي في تهريب الغزل من البلاد ولا شك فكرم باشا صادق فى ذلك بدليل ارتفاع ثمن الملابس التى تنسج في مصر الى ذلك الحد الباهظ مع وفرة وجود القطن في البلاد وقيام المصانع المصرية بنسيج الملابس الامر الذى كان من شأنه وفرة وجود الملابس لفقراء المصريين لولا طمع الحكومة في حب الاستفادة بكثرة المال لها ولانسبائها .

سادسا — التلاعب بالمواد الضرورية للغذاء برفع ثمنها وتصديرها الي الخارج وذلك كالأرز والزيت والسكر والجلود وغيرها ، ولا يحتاج مكرم باشا في اثبات ذلك الى دليل فان سوء الحال في مصر في مدة هذه الوزارة ناطق به ولقد شعرنا بذلك التلاعب من يوم أن تولى مكرم باشا نفسه وزارتى المالية والتموين وكان اذ ذاك راضيا مادام له نصيب من الارباح . نعم شعرنا بذلك التلاعب من يوم أن أصدر مكرم باشا قرارا حدد فيه عدد الارادب التى يسلمها الفلاح للحكومة عن كل فدان زرع قمحا فكان هذا التحديد معناه أن يسلم بعض الفلاحين المساكين لا ثلاثة ارباع محصولهم بل اربعة اثلاثه فكان الفلاح يسلم المحصول كله ويسجن بالثلث الذى قضى به ظلم مكرم باشا

سابعا — الوساطة والرشوة ويستدل مكرم باشا على الرشوة بتواترها بين الناس ونحن نقول له أن هذا التواتر صحيح وانه كان كذلك يوم كان هو معهم في الوزارة ابتداء من مايو سنة ١٩٣٦ الي آخر سنة ١٩٣٧ فقد كانت الاشاعات على الوزارة هى الموجودة الآن وكان مكرم باشا يخطب فيحض الناس على الالتفاف حول الزعامة المقدسة

ولا شك أن الخطة التى رسمها مكرم باشا نفسه فى أخذ مبالغ عظيمة ممن يرشحهم الوفد للبرلمان بحملهم فى حاجة الى تعويض ماخسروه بأخذ الرشوة من غيرهم والراشى لا يأنف أن يكون مرتشيا

ثامنا — الطمع واستغلال أموال الحكومة ويستشهد على ذلك مكرم باشا بسكنى رفعة النحاس باشا فى الباخرة محاسن مدة طويلة واستيلائه على كثير من الزهور من المتحف الزراعي وطلبه الفراء من المفوضية المصرية في لندن ونحن نقول لمكرم باشا إن هذا كله صحيح وانه لو تذكر قليلا لعلم أن حرمه المصون هي التى قبوت حرم الرئيس الى شراء الفراء من لندن يوم قال الناس عنهما في ذلك الوقت أنهما اشتريا الفراء لحضرتى صاحبتى العصمة على حساب الدولة وكان ذلك اذ ذاك فى نظر مكرم باشا من الامور المحللة المشروعة ومن أعمال الزعامة التي يجب ان تقدس دائما على كل حال

تاسعا — الاتجار بالاحكام العسكرية ولقد صدق فى ذلك مكرم باشا وان كان لم يقم عليه الدليل لأن كل انسان يردد ذلك حتي ان كل من حكم عليه بحكم قاس في المحاكم العسكرية ينصح له بالالتجاء الي أنسباء رفعة الحاكم العسكرى العام ليتم له مايريد من الغاء الحكم أو تعديله.

عاشرا — عدم قيام البرلمان بمهمته .. يقول مكرم باشا ان البرلمان المصري اصبح اسماعيلين مسمى فرفعة النحاس باشا يعمل مايريد والبرلمان يصفق له. وهذه حالة ولا شك أسوأ حالات الحكم ، فان الديكتاتور الذى يحكم بارادته

ومشيئته دون برلمان ولا شورى قد يخجل من نفسه أن يستبد استبدادا معيبا لشعوره بالمسئولية . أما رفعة النحاس باشا الديكتاتور المستتر الذي يدعي الغرام بالحكم الدستوري وانماع هذه الامة يشعر ولو في نفسه أنه غير مسئول عن أعماله مادام وراءه برلمان يصفق له ، ما دام هذا البرلمان مظهراً ولو في نظر الغريب عن البلاد من مظاهر تعلق الامة برفعته فهو يستبد ويتعسف دون أن يخجل من استبداده وتعسفه وتئن الأمة المسكينة من تلك الحالة التعسة وهو يتغنى بالتفافها حوله ويتشدق بحكمه الدستوري الذي يعتمد فيه على دستور سنة ١٩٢٣ بالذات أما الدساتير الاخرى فغير وافية بالغرض الدستوري المقدس في نظر رفعة النحاس باشا بعد أن قبض على المئات من المصريين وسجنهم بلا ذنب ولا جريرة ، وبعد أن أراد رفعته أن يضم الى هؤلاء المساجين سيدة خدمت تعليم البنات ٢٢ سنة لا لسبب سوي أن مكرم باشا شيطانه لا يريدها أن تعمل وخرج شيطانه ومع ذلك فقد استمر على رأيه بعد أن وكل شئون حكومته الي شيطانين آخرين هما كامل صدقي باشا وابراهيم فرج مسيحه بك . ولست اقصد بكلمة شيطان سبا بل أن كل شاعر له شيطان يلهمه الى الشعر .

فبرلمان هذا شأنه خير للأمة أن لا يكون ولكننا نعود فنسأل مكرم باشا : هل كان برلمان سنة ١٩٣٧ الذي كان هو راضيا عنه نسخة غير هذه ؟ لقد كان اشد تمسكا بالدستور والقانون من البرلمان الحالي فلم يسمح لأحد من المعارضين أن يقول كلمة . بل كانت الاكثرية تسكته قهرا واقتدارا أما هذا البرلمان فقد سمح والحمد لله ببعض المناقشة وان كانت في نهايتها غير مجدية فهو أقل شرا من الأول

١١ — خنق الحريات والصحف والاستبداد بكل شيء

ولقد أبان مكرم باشا في كتابه الاسود كيف استهترت هذه الوزارة بحريات الناس ورجعت بمصر الى العصور المظلمة ايام كان الناس يزجون في السجون لمجرد الشبهات والدس حول اسمائهم واستهترت بالحصانة البرلمانية فقبضت على اثنين من الشيوخ دون أن تخطر مجلس الشيوخ ولو بمجرد اخطار ومنهم حضرة صاحب المقام الرفيع علي باشا ماهر وصاحب السعادة محمد باشا طاهر كما قبضت كذلك على نائب من مجلس النواب هو الدكتور فهمى سليمان ووصل شرها الى البيت المالك فقبضت على الامير عباس حليم هذا عدا من قبضت عليهم من افراد الشعب المصرى فملأت بهم المعتقلات دون تحقيق ولمجرد الاتهام الذى قد يكون العامل الاصلي فيه الحقد والغيرة ولقد كان هذا يعمل بأمر مكرم باشا نفسه وربما كانت التقارير التى يكتبها الدساسون عن رفعة علي باشا ماهر وغيره بايعاز منه وبأيدي انصاره الكثيرين ولقد كان يحتج بها رفعة مصطفى النحاس باشا عندما سئل عن اعتقال رفعة ماهر باشا فلم يبد مكرم باشا أى اعتراض على ذلك . فقوله انه لم يكن موافقا على اعتقال رفعة ماهر باشا قول لاقيمة له لانه هو نفسه يعترف فى كتابه الاسود في صفحة ٢٠ أن رفعة النحاس باشا كان يستشيره في كل شيء حتى بعد ان دب بينهما الخلاف وقال مانصه (وكذلك في هذه الفترة عاد يستشيرني حتى فى شئون وزارته الخاصة فكنت أنا الذى اشرت بتعيين المحافظ الحالي للاسكندرية عندما استشارني فى الامر بيني وبينه وكذلك كانى بشئون اخرى خاصة بوزارة الداخلية وكنت كذلك مطلق اليد فى عملي فى

وزارتى المالية والتموين) فكيف اذن يصدق العقل انه لم يوافق على اعتقال رفعة على ماهر باشا ؟ ولم لم يحتج اذا كان غير موافق ؟ أو يترك الحكم لهـذا الخطب الجلل بدلا من أن يتركه محتجا بالاستثناءات التى كان له هو وحده منها ١٢٠٠ استثناء فى وزارة الوفد سنة ١٩٣٧ ولو وقف الشعب على الحقيقة لذكر له استثناءاته فى وزارته الاخيرة ايضا. فمكرم باشا صادق فيما وصل اليه الحكم من سوء الحال ولكنه هو الأصل فى تلك العلة وهو الذى شيد ذلك الصنم كما يقول وكان يتكلم من جوفه فكيف يتبرأ من أعمال صنمه الآن؟ وقد استرسل هذا الصنم الساذج الذي لا يقدر ما يفعل في تعسفاته فهاجم البوليس الازهر الشريف وضرب الطلاب بالنار واعتقل مشايخ الازهر كما اعتقل غيرهم ولولا يد المليك لظلوا فى سجونهم الى الآن . فحالة الوزاره كما شرحها مكرم باشا في كتابه لايجوز السكوت عليها بعد أن ملها الشعب بأكمله ولولا الضغط والاعتقال لثار فى وجوه الظالمين .

١٢ — الانتخابات تكلم مكرم باشا عن الانتخابات وتزويرها وكيف كان يدخلها أشخاص بشخصيات غيرهم وقسى سعادته ان هذه هي الخطة التى رسمها هو للوفد منذ حين فقد كان تحت يد الوفد صور باسماء الدوائر فكان يذهب مكرم باشا بنفوذه الى الاقسام فيبحث عن تلك الاسماء ويأخذ من البطاقات الانتخابية من مات اصحابها أو نقلوا من الدائرة ويوزعها على افراد من عنده ولقد كان هذا هو سر نجاح الوفد في الانتخابات ومن طريف مايروى أن شخصا يبلغ الثمانين من عمره دخل يعطي صوته فى احدي اللجان التي كان

يشرف عليها سعادة مكرم باشا بنفوذه القوى على حساب الوفد دخل ذلك الشخص المسن أمام رئيس اللجنة وبيده بطاقة تثبت أن عمر صاحبها ٢٥ عاما فقال له رئيس اللجنة هل عمرك ٢٥ عاما ياوالدي ؟ فضحك الشيخ وقال (اننا كلنا وفديون ياسيدي فقد أدخل أنا بدلا من ابني كما يدخل ابني في لجنة أخرى بالنيابة عني وكلنا وفديون في وفديين) ولم نسمع أن مكرم باشا غضب من تلك الطرائف التي أخذ يذكرها في كتابه الآن بل هي كلها من صنع يديه الكريمتين .

١٣ — مشروع اسبوع البر . ويقول مكرم باشا أن مشروع اسبوع البر أريد به استغلال السلطة الحكومية وهو الارغام على بعض الكبراء ورتب نظير مايدفعونه لمشروع اسبوع البر وان رفعة النحاس باشا صارح شريكه بذلك

وما كان لحرم رئيس الوزراء أن تعرض نفسها لجمع صدقات من الناس لأن تلك الحالة تدفع كل من يريد من الوزارة جاها أو وظيفة أوغيرها أن يتبرع لذلك المشروع فهو اذن رشوة علنية ما كان لحكومة رشيدة ان تسمح بها وكل ماأزيده على ماقاله مكرم باشا هو أن أضع صورة حرم رئيس الوزراء هنا ليرى القاري سرورها بجمع المال بين يديها مما يدل على جشع لا نظير له وكان من المكتتبين لمشروع اسبوع البر المسيو كوتسيكا الذى كان يرشي الموظفين سابقا ليزيد مليما واحدا على ثمن اللتر من الكحول فزادته هذه الوزارة ثلاثة ملاليم ومن ذلك أيضا أن التاجر الذى سمح له كامل باشا صدقي بتصدير ١٠٠٠ علبة سردين الى الخارج تبرع هو أيضا لمشروع البر بمبلغ ١٠٠ جنيه



١٤ — محاباة النحاس باشا لاقاربه وانسبائه واصدقائه على حساب الدولة . وقد استدل مكرم باشا على ذلك بالامثلة الكثيرة التى لاتقبل الشك ونحن نعترف مع مكرم باشا أن رفعة النحاس يحابي اقاربه وأنسباءه بجرأة معدومة النظير ، كما يحرم خصومه من حقوقهم الشرعية ، ولكنا نعود فنذكر مكرم باشا انه هو الذى علم النحاس باشا ذلك الرجل الساذج كيف يحابي

الاقارب والانسباء على حساب هذا الشعب المسكين فليتذكر مكرم باشا قليلا ليعلم أنه في سنة ١٩٣٧ وقد كان هو المهيمن على شئون الوزارة اصدرت وزارة المعارف منشورا يقضي باغلاق كل مدرسة حرة يقل عدد تلاميذها عن ٥٠ تلميذا فاغلق بذلك المنشور كثير من المدارس الاسلامية التي ليس له فيها قريب ولا نسيب أما المدارس المسيحية التي يقوم بادارتها اقرباؤه وانسباؤه واصدقاؤه فقد حماها من الاغلاق واغدق عليها الاموال اغداقا حتى أنه لما اتضح له ولغيره أن مدرسة الاقباط بقنا وهي مسقط رأسه لم يكن بها الا ٣٥ تلميذا فقط لم يسمح باغلاقها بل ابقاها ولم يكفه ذلك فصرف لها ١٠٠٠ جنيه بصفة اعانة استثنائية كما صرف لجمعية الاقباط الكبرى ٤٠٠٠ جنيه اعانة استثنائية ثم صرف لها من المالية عشرة آلاف جنيه بصفة سلفة دون أن يعطي اية جمعية اسلامية شيئا فهل كان ذلك الاغداق والحرمان الا محاباة لانسبائه واقربائه واصدقائه بالجملة لا بالقطاعي . ولما دخل الوزارة هذه المرة أخذ يمهد لتتنازل المالية لجمعية الاقباط الكبري عن السلفة ثم تعطيها ٥٠٠٠ جنيه بصفة اعانة استثنائية من خزينة الدولة فيكون نصيب اقاربه واصدقائه على قلتهم ١٥ الف جنيه من اعانة التعليم الحر وقد تم تنفيذ ذلك بعد خروجه مباشرة على يد صديقه كامل باشا صدقي . ومع ذلك لم يذكر مكرم باشا في كتابه الاسود عن نفسه وعن صديقه كامل باشا صدقي هذه المأثرة الحسنة في العدل والمساواة . لقد كان مكرم باشا يمهد لأعطاء اقاربه وانسبائه ١٥ الف جنيه لتعليمهم يوم كان يعارض أشد المعارضة في صرف التعويض لمدرسة بنات الاشراف الاسلامية

ومقداره ٢٤٠٠ جنيه فقط.. وهو يعلم أن ذلك المبلغ صرف فعلا على المبنى الموقوف لوزارة المعارف الذى يعد مبنى حكوميا والتى هدمته القنابل . فهل كانت هذا الاغداق على اقاربه وانسبائه وأصدقائه وحرمان المدارس الاسلامية المنكوبة التى ليس له فيها أقارب وانسباء من العدل في شيء؟ أم انه هو ورفعة مصطفى النحاس باشا فى محاباة الاقارب سواء بل هو أشد ظلما وتعسفا من رئيسه

واذا نحن عاتبنا مكرم باشا على محاباته لاقربائه وانسبائه أقحم الدين بجرأة بخيفة وتمسك باتحاد العنصرين كأن اتحاد العنصرين لايكون الا بظلم المسلمين ظلما فاحشا كهذا . ومن العجيب المدهش أن تعاليم مكرم باشا هذه قد أثرت تأثيرا عظيما فى مخ النحاس باشا الضعيف فأصبح يخاف ويرتجف من أن ينسب اليه حب التعصب فيظلم المسلمين ظلما فاحشا ليبرىء نفسه الآثمة بهذا الظلم من التعصب الدينى حتى انه يقحم الدين فى النزاع القائم بينه وبين مكرم باشا الآن مع أنه سبق ان اختلف فى سنة ١٩٣٧ مع ثلاثة من زملائه رجال الوفد الاصليين ومن خيرتهم هم الدكتور احمد باشا ماهر والنقراشي باشا ومحمود غالب باشا فلم يرتجف النحاس باشا من معاداتهم كما يرتجف الآن من معاداة مكرم باشا فيقوم فى مجالس الشيوخ ويقول (كما اهيب بكم جميعا على اختلاف ميولكم واحزابكم وبكل حريص من ابناء الوطن العزيز على وحدة الامة المصرية القديمة وهى الوحدة التى مكناها بجهادنا أن تقفوا كل محاولة خبيثة يدفع اليها أى لاعب بالنار للتفريق بين عنصريها اللذين جمعا بينهما الاتحاد الوطنى المقدس)

فالنحاس باشا خائف فزع ويدفعه هذا الخوف والفزع داخلاً له

ظلم المسلمين لا اسبب سوى ذلك الخيال الذي رسمه مكرم باشا فى عقله الضعيف . فالحاكم عليه أن يحكم بين عناصر الامة بالعدل لايحابى هذا ولا يظلم ذاك . أما أن يدفعه الخوف الي احتقار المسلمين ومعاداتهم زعما منه أن ذلك يدل على عدم تعصبه الديني فويل لنا نحن المسلمين من اسلام ذلك الزعيم ولقد كنا نفضل أن يكون مسيحيا فيحا بينا ويعطف علينا خوفا من أن ينسب اليه التعصب الدينى ويريحنا من اسلامه وصلواته التي وصلت بنا الى الحضيض

دخل رفعة النحاس باشا الوزارة هذه المرة وللمسلمين المساكين اربع مدارس ثانوية للبنات ولاخواننا المسيحيين سبع مدارس ثانوية للبنات تعينها الحكومة فدفعه هذا الوهم الفاسد ان يضطهد المدارس الاسلامية فيخرج من اعانة الحكومة ثلاثا منها ولا يبقي لهم الا واحدة ويعطف على اخواننا المسيحيين فيمنح لهم مدرستين اخريين فيصبح عدد المدارس الاسلامية الثانوية للبنات واحدة فقط نظير تسع مدارس للمسيحيات وكل ذلك ليثبت أنه غير متعصب دينى ، فمكرم باشا لا يبالى باللوم فيسير في تأييد مدارس أقاربه بخطى ثابتة لا تتزعزع أما النحاس باشا فيحارب مدارس المسلمين لا لغرض آخر سوى أن نكبات الدهر جمعتها به فى دين واحد . اننا فى عصر المعجزات المدهشة التي قام بها ماركونى الآن والتي لم يستطع نبى أن يجاريه فيها فكان علينا والحالة هذه أن نترك الدين ظهريا وان نعدل بين فئات الامة على اختلاف اديانها . ان هذا السخف الدينى الذى ادخله مكرم باشا على خيال النحاس باشا جريمة مروعة فقد جعله هذا الخيال يشجع المدارس المسيحية بكل قواه فيزور التوفيق القبطية بالقاهرة ، كما

يزور التوفيق القبطية بالاسكندرية ويأمر وزير معارفه فيزور التوفيق القبطيه بالقاهرة هو وجميع رجال الوزارة ويتجنب رفعة النحاس باشا جهد استطاعته ان يزور مدرسة اسلامية . فياويل الاسلام من المصلين وياويل العدل نفسه من تلك المعاملة الظالمة التي يعاملنا بها ذلك المصلي المتدين . .

ولست اهتم هنا بظلم النحاس باشا المسلمين في الوظائف لأننا اذا كنا متعلمين أمكننا ان نترك هذه البلاد ونعمل في غيرها من البلاد التي لا تعصب فيها أما الجهل فيحرمنا من كل شيء

الخاتمة

يطالب سعادة مكرم باشا في آخر كتابه زوال هذا الحكم وكل مانشأ عنه من تعيينات وترقيات واستثناءات وغير ذلك وهو طلب لا تصلح البلاد بدونه وكما أن رفعة النحاس باشا اعاد وزارته الاولي كما كانت بجميع اشخاصها في مراكزهم السابقة يجب أن يرد عليه بعد خروجه من الحكم باعادة كل شيء الي ما كان عليه قبل دخوله فيه وان يحرم دخول الحكم على رفعة النحاس باشا ورأسه المفكر مكرم باشا مرة أخري وبغير هذا لا تصلح الأمور فان رفعة النحاس باشا لو دخل الحكم مرة أخري خشينا أن يركبه شيطان شر من مكرم باشا لأنه هو شخصيا لا يستطيع الاستقلال بعمله ولا بد من أن يعتمد على غيره . اما مكرم باشا فقد عرفناه رئيس وزارة مدة طويلة وان كان قد تنكر لنا في زى شبح اسمه رفعة النحاس باشا

قيمة الكتاب الاسود الادبية

وبعد فلي كلمة أقولها على اسلوب مكرم باشا الذى ظل يتيه

فيه السجع في العصر الحالي عصر السرعة والطيران حتى كان ذلك السجع يخرجه احيانا عن المعنى المطلوب كما يخرجه احيانا عن الادب في حضرة مليكه الذى وجه اليه الخطاب . اما عن المسألة الاولى فقد قال في صفحة ٨٣ عن مسألة الصفقة التى اشترتها حرم رفعة النحاس باشا من آل عدس بسعر الفدان ١٢٠ جنيها فقط مع أنه كان يساوى في ذلك الوقت ٢٦٠ جنيها على أقل تقدير وأراد أن يقول فى كلامه أن آل عدس رضوا بذلك الغبن نظير شيء آخر كافأهم به رفعة النحاس باشا داخل سلطته الحكومية فقال (كيف ارتضي آل عدس وهم التجار الحاسبون هذه الصفقة الكاسدة فما ربحت تجارتهم وما كانوا يكسبون) فاضطره السجع أن يقول (فما ربحت تجارتهم وما كانوا يكسبون) مع أنه أراد ان يظهر لنا أنهم ربحوا الشيء الكثير في الخفاء وبهذا السجع خرج عما أراد من المعنى . اما النوع الآخر فقوله في صفحة ٤٩ (وهكذا دواليك فان الحلقة مفرغة مادامت الاموال تتوالى سابغة مسبغة) فكلمة دواليك ينفر منها الذوق فى مخاطبة مليك البلاد والجملة كلها كلام مطول لا يجوز أن يكون فى عريضة مقدمة لمليك البلاد . كما يقول فى صفحة ٢١ عن مخزن الشوربجي (بل وجدوه قاعا صفصفا كما وجدوا مخزن القاهرة أيضا أفرغ من فؤاد أم موسي) . كلمات مبتذلة مجتها الاسماع لا تقال في عريضة تقدم لحضرة صاحب الجلالة الملك لأنه ليس لدى جلالته من الوقت مايقرأ فيه تلك السخافات وقد كان فى استطاعة الكاتب أن يقول (فوجدوا المخزنين خاليين) فيريح الناس من الثرثرة ويريح نفسه من الكتابة التي لا قيمة لها كما قال في موضوع آخر (وكان ما كان جريا على الخطط

المأثورة عن مالف العصر والأوان) وكما يقول فى موضوع آخر على قاعدة (شيلني واشيلك)

انحطاط فى التعبير ماكان لوزير أن ينزل اليه وثرثرة لا يجوز أن تكون فى كلام يقدم لمليك البلاد ولو أن مكرم باشا كان يخطب قصانه الزرق لعذرناه فى ذلك وقلنا إنه انما يخاطب الناس على قدر عقولهم . أما وهو يكتب لمليك البلاد وزعماء الامة فلا عذر له فى ذلك الانحطاط .

وقد ملأ الكتاب بعد ذلك تألما وتأسفا على نفسه وأنه نفسه يدل على أنه كرفعة النحاس باشا سواء بسواء فهو يئن ويشكو كيف استبد به رفعة النحاس باشا فلم يسمح بذكر اسمه في الصحف وهو وزير بعد أن دب بينهما الخلاف لا في العامود الذي يذكر فيه رئيس الوزراء ولا في العامود الذي بعده وانه اى رفعة النحاس باشا منع نشر برقيتين ارسلتا الى مكرم باشا احداهما من حضرة صاحب السمو الامير عمر باشا طوسون والاخرى من صاحب الفضيلة ابي الوفاء الشرقاوي وقد تضمنت البرقيتان التنويه بجهود (هذا الضعيف) على حد تعبير مكرم باشا . ثم عاد وقال كيف أن رفعة النحاس باشا نشر صورة المستر تشرشل المهداه اليه فى الصحف ولم يسمح بذكر شيء عن زميلتها التى ارسلت لحضرة صاحب الدولة حسين سري باشا من نفس المستر تشرشل وبنفس الكلام وأنا اؤكد لمكرم باشا أن دولة حسين سري باشا ذلك الرجل الذي نما فى اسرة رفيعة العماد تعلم منها على الاقل آداب المجاملات لا يقبل مطلقا أن تنشر تلك الصورة أو تذكر في الصحف . وإن دولة سري باشا اذا كان قد ذكرها أمام مكرم باشا فلا أظنه قد فعل

ذلك الا على سبيل الانتقاد على تصرفات رفعة النحاس باشا .

كما أخذ يشرح لنا كيف هددهم الانجليز بالاستقالة ليرضوا بأن يقرضوا الحكومة المصرية القمح وان رفعة النحاس باشا ادعى الفخر لنفسه ولا أدرى ما الذى يهم الناس من قراءة هـذا والحكومة متضامنة فيما تفعله كما أننا لا ندرى كيف اضطر هو الانجليز الى اقراضنا القمح وعلى أى جيش وعلى أى سلاح أعتمد هو فى تهديده وهم انما يعملون بارادتهم ففضل الاقراض عائد عليهم ولو شاءوا لرفضوه . فكلام كهذا لا فائدة من ذكره وليس فيه الا الفخفخة والافتخار الكاذب وما كان لمثل هذا الافتخار أن يقدم في عريضة لمليك البلاد .

وفى نظرى أن ذلك الكتاب فيه كثير من التطويل الممل والاعادة التى يسأمها الانسان حتى انى لا اتغالى اذا شبهته بأناء كبير ملىء ثريدا ثم قطع فيه نصف رطل من اللحم قطعا صغيرة لا تكاد ترى من الثريد وقدم للناس ليأكلوا منه اللحم لا الثريد فلم يستطيعوا الوصول الى مايريدون الا بشق الانفس . فنحن في ذلك الكتاب نكد ونعمل لنصل الى شيء صغير نطالع من أجله صفحات وصفحات ولو وضع هذا الكتاب اديب بارع لما تعدى فى كتابه ٦٠ صفحة على اكثر تقدير وكان يكون الكلامه اذ ذاك وقع فى اتهام النحاس باشا لأنه يسهل على القارىء مهمته في حصر ذلك الاتهام ؟

نبويـة موسى